معالم تحقيق وحدة السورة عند البقاعي
من خلال مخطوط
دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم.

أ.أمينة رابح *

المقدمة:

الحمد الذي أنزل القرآن الكريم متسق المعاني منتظم المباني والصلاة والسلام على خير الأنام محمد العدنان وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان، أما بعد:

فالقرآن الكريم رسالة الله الخالدة إلى يوم الدين، أيد به الباري عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم راعى فيه أحوال المكلفين فأنزله منجما في بضع سنين، ثم راعى الباري عز وجل حِكماً في النظم فجاء كتابه في تناسق عجيب وترتيب بديع. أدهش العلماء فراح كل واحد منهم يحاول أن يظهر جانبا من جوانب إعجاز هذا الكتاب، ومن بين هؤلاء نجد العلامة المفسر برهان الدين البقاعي الذي اعتنى بجانب مهم من جوانب إعجاز النظم وهو التناسب بين الآي والسور، ومن فضل الله عليه أنه تمكن من خلال هذا العلم أن يضع لبنة أولى لما يسمى بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والوحدة الموضوعية للقرآن الكريم وذلك من خلال مؤلفاته التفسيرية وعلى رأسها نظم الدرر .

هذا الكتاب الموسوعي الذي جعله صاحبه في بيان التناسب القرآني اعتنى من خلاله بعلوم عديدة كالبلاغة والسنة بالإضافة إلى ذكر أقوال أهل الكتاب. هاته الأخيرة أثارت ضده وضد كتابه نظم الدرر أقوال العلماء. فحاول أن يستدرك الأمر فقام باختصار كتابه في تفسير سماه دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم. فحذف أقوال أهل الكتاب واعتنى خاصة بذكر المناسبات القرآنية ومن خلال الإطلاع على هذا الكتاب الذي لا يزال إلى اليوم مخطوطا –لم يحظ بعناية الباحثين لإخراجه للوجود –نجد أن البقاعي تميز بمعالم تفسيرية يمكن أن نجملها في معالم تناسبية تخدم وحدة السورة و أخرى تخدم وحدة القرآن. نحاول من خلال هذا البحث

* – قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

بيان أهم المعالم التي ذكرها البقاعي الخادمة لوحدة السورة القرآنية . قبل الحديث عنها لا بد من ذكر ترجمة مختصرة للبقاعي و مخطوطه دلالة البرهان القويم.

المبحث الأول : ترجمة البقاعي ومخطوطه دلالة البرهان القويم :

لقد تميز البقاعي بحياة خاصة حافلة بالأحداث المتنوعة والتي أثرت في حياته. فيما يلي نبذة مختصرة ومحطات سريعة تظهر من خلالها أيام مولده و نشأته وطلبه للعلم وأهم آثاره العلمية التي تركها.

المطلب الأول: ترجمة البقاعي.

البقاعي مفسر و ومقرئ، محدث ومؤرخ، أديب وشاعر، صاحب تصانيف بديعة وتآليف كثيرة لا يخلو فن من الفنون إلا وقد شارك فيه برسالة لطيفة أو بمجلدات كثيرة، ترك خلفه مختصرات ومطولات، تدل على ذكائه وإبداعه. لا ينكرها إلا جاحد أو قرين منافس.

مولده ونشأته :

هو "إبراهيم بن عمر بن حسن بن حسن الرُباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين" كنى نفسه بأبي الحسن. هو من قبيلة اسمها بنو حسن، قال عنهم البقاعي:

رجال حروب تصدف الأسد عنهم نار الوغى من بأسهم تتخوف

إلى حسن مرماهم و انتسابهم فسل عنهم يخبرك رمح مرهف

أناس تهاب الأسد قرب ديارهم وتهوي الظباء الآنسات و تألف. [1]

ولد البقاعي رحمة الله عليه سنة 809هـ بقرية خربة روحا بجبل البقاع. قال البقاعي عن ذلك :

أجزتهم مطلوبهم مولدي تاسع قرن تاسع في الجبل

بها نشأ وحفظ القرآن وصلى بالناس من حفظه، و حين بلغ من العمر اثنا عشرة سنة وقعت لأهله حادثة كان لها عظيم الأثر في شخصية الشيخ العلمية وهي مقتل أبيه [2]وعميه وستة من أقاربه، أما هو فقد جرح بالسيف في رأسه وجسده [3]. بعد هذه الحادثة ما كان من أمه إلا أن سافرت به مع أبيها إلى دمشق بعد أن طافت بعض القرى منها التيم والعرقوب. لم تكن للبقاعي نظرة سلبية لما حدث بل كانت له نظرة جد إيجابية فبسفره هذا نال سبب سعادتي الدنيا والآخرة. ففي دمشق ضبط حفظه للقرآن وجوده، وأخذ أصول القراءات من شيخيه شرف الدين صدقة الضرير المسحراني و أبو الخير شمس الدين محمد الجزري.

في سنة 826هـ سافر البقاعي إلى القدس أين درس الحساب على العماد إسماعيل بن شرف و قد ألف فيه كتبا. وهناك في القدس تيتم البقاعي بوفاة أمه، دفنت رحمة الله عليها في القدس.

واصل البقاعي طلبه للعلم حيث حفظ البهجة ودرس الفرائض، أخد عن الحافظ الغرابيلي شرح نظم كافية ابن الحاجب، وعلى العماد ابن شرف شرح النخبة كما سمع على الزين القبابي وعلى غيرهم من الفضلاء. بعد هذا التطواف في بلاد الشام خرج البقاعي إلى مصر وقاهرتها سنة 834هـ حيث لازم الحافظ ابن الحجر العسقلاني الذي أخذ عنه علوم الحديث و قرأ عليه جملة من تصانيفه، وقد بقي في حضرته زمنا يسافر معه إذا سافر، ويستقر إذا استقر.

أذن العلماء للبقاعي بالتدريس وعلى رأس هؤلاء ابن حجر والشرف السبكي الذي سمع منه بحث الحاوي، فدّرس القراءات بالمدرسة المؤيدية بالقاهرة وهي أول وظيفة يحصل عليها بعد وفاة أمين الدين محمد بن علي بن موسى الشافعي، قال "أخذت تدريس القراءات وهي أول وظيفة حصلت لي، والقراءات أول علم اشتغلت به، فكانت مناسبة عظيمة".[4]

كما ضم إلى علم السنة وعلم القراءات تفسير القرآن حيث درسه في الميعاد الذي كان بجامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة في نيف وعشرين سنة وقد ختمه بفضل الله في 18 رمضان سنة860 هـ ليبدأ في ختمة جديدة محصلا فضل الختم، و الافتتاح في رمضان وفي سنة 861هـ فتح الله عليه بفهم علم المناسبات بين الآيات. [5]

سافر البقاعي للغزو والجهاد كما أنه أكمل الركن الخامس في هذا الدين وقد جاور بالمدينة لسنوات.[6]

ترك لنا البقاعي مؤلفات عديدة تشهد على نبوغه، من بينها:

- الإدراك لفن الإحتباك.
- إظهار العصر لأسرار أهل العصر.
- الإعلام بسن الهجر إلى بلاد الشام.
- الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة.
- الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات.
- مصاعد النظر لإشراف على مقاصد السور. [7]

ثناء العلماء عليه:

وصفه **شيخه ابن حجر**: بالعلامة الصاحب وذلك في رسالة ضمنها كتابه إنباء الغمر.[8]

جلال الدين السيوطي :قال في نظم العقيان :" العلامة المحدث الحافظ. ..مهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث، رحل وسمع. ..وله تصانيف كثيرة حسنة..."[9]

ابن عماد الحنبلي: قال عنه "...المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ. ...كان من أعاجيب الدهر وحسناته..."

محمد بن علي الشوكاني: "الإمام الكبير.... برهان الدين من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول...، وهو كثير النظم جيد النثر في تراجمه ومراسلاته ومصنفاته...[10]

المطلب الثاني: تعريف بمخطوط دلالة البرهان القويم في تناسب آي القرآن العظيم.

دلالة البرهان القويم في تناسب آي القرآن العظيم من كتب البقاعي المهمة وهو في علم المناسبات اختصر من خلاله نظم الدرر لا زال هذا المخطوط حبيس المكتبات إلى اليوم.

تظهر **أهمية** هذا المخطوط في كونه أنه يكشف عن **منهج التكامل عند العلماء**، حيث أن البقاعي ألف ثلاثة كتب تتعلق بالمناسبات ومقاصد السور ومن نظر فيها وجدها أنها متكاملة، بحيث أنه يستدرك في التأليف التالي ما تركه في الأول ويترك ذكر ما درسه ولا يذكره في التأليف التالي وهكذا تأتي كتبه متكاملة تكمل بعضها البعض من حيث الاستدراك. هذه النظرة كشف عنها مخطوطه دلالة البرهان القويم في تناسب آي القرآن العظيم. كما أن هذا المخطوط يكشف عن **مقاصد الاختصار** عند العلماء فالبقاعي لم يختصر كتابه نظم الدرر إلا لتحقيق أغراض معينة ومهمة ذكرها في مقدمة مخطوطه.

و فيما يلي **وصف لهذا المخطوط** وبيان لأهم ما جاء فيه.

تم الاعتماد في هذه الدراسة على نسخة مصورة محصلة من مركز الملك فيصل للدراسات و قد تم تصويرها من النسخة الأصلية الموجودة بجامعة إسطنبول.

عدد أوراقها 461، عدد الأسطر في الأوراق متفاوت ففي الأوراق الأولى نجد 15 سطر، أما في أوراق باقي المخطوط فعدد الأسطر يزيد ليبلغ في بعض الأوراق 30سطر.

كتب المخطوط بخط جيد واضح لا سقط فيه كما أن هذه النسخة كاملة الصفحات.

يبدأ المخطوط بصفحة العنوان واسم المؤلف والتي جاء فيها :الجزء الأول من كتاب دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم صنعه أفقر الخلائق إلى عفو الخالق أبو الحسن إبراهيم ابن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي الشافعي. وينتهي بالصفحة الأخيرة من تفسير سورة المائدة.

يحتوي المخطوط **على مقدمة**[11]: ذكر فيها البقاعي **منهجه في التأليف** والمتمثل في :

- تحصيل مقصود السورة لكونه دال على تناسبها وتناسقها.
- الترجمة لأسماء السورة والمطابقة بينها وبين المقصود.
- تفسير البسملة بما يناسب مقصود السورة.
- الربط بين أول السورة وآخر ما قبلها.
- تفسير الآيات بالاعتماد على اللغة. [12]

كما أنه **عرف المناسبة** فقال بأنها علم تعرف من خلاله علل ترتيب أجزاء القرآن.

كما ذكر **مكانة علم المناسبة** من خلال تلك النقول التي ساقها صاحب البرهان في علوم القرآن كقول الرازي :"أكثر لطائف القرآن أودعت في الترتيبات والروابط " وقال أيضا :"من تأمل سورة البقرة علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ".كما ذكر قول ابن العربي في سراج المريدين :"ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله...".

كما ساق البقاعي قولا للحرالي فقال :"في كل آية معنى تنتظم به بما قبلها ومعنى تتهيأ به للانتظام بما بعدها...". [13]

والجدير بالذكر أن البقاعي في مقدمة مخطوطه ذكر **أدلة خاصة بعلم المناسبة** تظهر أهميته من خلال القرآن الكريم فقال :"قد أشار سبحانه إلى هذا العلم العظيم بنظم الكتاب الحكيم على غير ترتيب النزول حتى إنه ربما ذكر المنسوخ قبل الناسخ ويذكر آخر قصة البقرة قبل أولها ويذكر القصص تارة على ترتيبها وتارة على غير ترتيبها في الوجود وأخرى على غيره...". [14]

ثم ذكر البقاعي **موضوع علم المناسبات** وثمرته فقال: "وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب " وثمرته :"الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب بماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب ".

كما أنه ذكر **فوائد علم المناسبة** فقال:

أنه يرسيخ الإيمان في القلب من خلال الوقوف على أوجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وهو الإعجاز من حيث النظم.

الوقوف على الحق من معاني كتاب الله عز وجل التي حيرت العلماء وبالتالي فإن التناسب وسيلة من وسائل الترجيح بين الآراء.

توجيه المتشابه من القصص القرآني وبيان أسرار تكرار ه في كل سورة. [15]

وفي آخر المقدمة ذكر البقاعي بعض **القواعد الخاصة بعلم المناسبة** من بينها :

- أن **نسبة علم المناسبة** إلى علم التفسير كنسبة علم البيان إلى علم النحو. [16]

– للإعجاز التناسبي طريقين الأول : تناسب تركيبي ويكون بين أجزاء الجملة الواحدة أي بين كلماتها وترتيبي ويكون بين الجمل المتتالية وهو الأصعب في التحصيل.

– معرفة المناسبات طريقين :أحدهما إجمالي والآخر تفصيلي أما **الإجمالي** فهي ما يسمى بقاعدة المشدالي والتي مفادها أن :" الأمر الكلي المفيد لمعرفة مناسبات الأيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات على ما يستتبعه من استشراف السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة."

أما التفصيلي "فبالكلام على كل آية وتنزيله على ما يقتضيه علم البلاغة من الفصل و الوصل والإيجاز والإطناب. .". [17]

وفي باقي المخطوط نجد تفسير لسورة الفاتحة، البقرة، آل عمران، النساء، المائدة.

وقد اعتمد في **التفسير على منهج واضح المعالم** وهو بيان المناسبات القرآنية المختلفة.

- المناسبة بين اسم السورة ومضمونها.
- المناسبة بين أول السورة وآخر ما قبلها.
- المناسبة بين أول السورة وآخرها.
- المناسبة بين أول السورة و أوائل بعض السور.
- المناسبة بين الآية وما قبلها.
- المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة.
- المناسبة بين آيات السورة الواحدة. وبين الآية وآيات من سور أخرى.

وقد استأنس في بيان المناسبات بعدد من العلوم من بينها أسباب النزول وبيان القراءات القرآنية بالإضافة إلى السنة النبوية يلاحظ أن البقاعي في مختصره قد ترك بيان عدد الآي في السورة بالإضافة إلى مكيتها ومدنيتها لكون كتابه مصاعد النظر قد تكفل بهذا الأمر.كما أنه ترك ذكر الاحتباك لتكفل كتابه الإدراك لفن الاحتباك.[18]

في ختام هذا المطلب نعرج لمسألة مهمة عند البقاعي **وهي النقل عن الكتب القديمة وعلاقتها بتأليف دلالة البرهان القويم**[19]، فقد صرح في كتابه نظم الدرر أنه ينقل عن أهل الكتاب من خلال كتبهم التي كانت موجودة بين يديه مترجمة "أناجيل، أو التوراة وحتى الزابور". وقد يبلغ نقله عنهم عشرات الصفحات وأمثلة ذلك كثيرة لا تخفى عن قارئ كتابه نظم الدرر، هذا الأمر أثار حفيظة بعض العلماء أمثال السخاوي[20]. وعن ذلك قال البقاعي: "فأكثروا التشيع بالتشنيع، والتنقيح والتبشيع، والتخطئة والتضليل بالنقل من التوراة والإنجيل، فصنفت في ذلك الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة[21]. بينت أن ذلك سنة مستقيمة لتأييد الملة الحنفية العظيمة،..." ثم بين أن للشافعي تأصيل للمسألة وكذا النووي والرافعي.[22] ليذكر أدلة جواز النقل وكيفية وقوعه يقول في ذلك :"إن أنكر منكر الاستشهاد بالتوراة أو بالإنجيل وعمي عن أن الأحسن في باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد تلوت عليه قول الله تعالى استشهاداً على كذب اليهود : **{قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران:93]** وقوله تعالى : **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة 48]** في آيات من أمثال ذلك كثيرة. وذكرته باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة في قصة الزاني...هذا فيما يصدقه كتابنا"[23] أما ما لا يصدقه ولا يكذبه —كتابنا – فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «حدثوا عن بني إسرائيل ولا

حرج» ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه، وهو معنى ما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : { **وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ** 46} **[العنكبوت]**» الآية، فإن دلالة هذا على سُنِّية ذكر مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها، ولذا أخذ كثير من الصحابة رضي الله عنهم عن أهل الكتاب"[24].

وبعد كل تلك الردود التي أقامها البقاعي نجده في الأخير قد لان جانبه و أخذ في اختصار كتابه نظم الدرر في مخطوط دلالة البرهان القويم وقد جعل من أسباب الاختصار التقليل من الأخذ عن أهل الكتاب وبذلك هذب كتابه من أجل أن يحقق أهدافه وهي إظهار علم المناسبة بعيدا عن كل شبهة ويلاحظ أن البقاعي عوض تلك النقولات بفوائد أخرى قال في مقدمة المخطوط :"وأزيد إن شاء الله عوض ما أخذت منه في ذلك ما يعليه "، هذه الزيادات يلحظها كل من قارن بين النظم ومختصره مثلا في بداية تفسير الفاتحة أطنب في بيان الفرق بين الشكر والحمد وغير ذلك من الفوائد الأخرى.[25]

من المفيد أن نشير هنا أن من طبع البقاعي طلب التصويب من العلماء مع جلالة مكانته في العلم، يقول عن ذلك :" أنا لم أدع العصمة فيما قلت– أي في كتبه الخاصة بعلم المناسبة —" وأن من غاياته الوقوف على الحق من معاني كتاب الله و المساعدة على ما ينفع المسلمين ثم طلب من العلماء أن يدلوه على هفواته وأخطائه".[26]

المبحث الثاني :معالم تحقيق وحدة السورة القرآنية :

يقصد بوحدة السورة هو اتحاد معاني السورة القرآنية بعد أن ذكرت متناثرة ومتباينة لتكون معنى واحد أو قضية واحدة[27] يساهم في الدلالة عليه عددا من الطرق من بينها الترجمة لمقصود السورة وتحقيق براعة الاستهلال ورد آخر السورة على أولها وتوجيه القصص وغيرها من الأسس التي تقوم عليها وحدة السورة والتفسير الموضوعي عند المعاصرين. هذه المعالم ساهم في إظهارها شيخ المناسبات الإمام البقاعي من خلال مؤلفاته ومن بينها دلالة البرهان القويم. فيما يلي بيان لها.

المطلب الأول: تفسير البسملة[28]بما يوافق مقصود السورة.

انطلق البقاعي من شافعيته[29] وعد البسملة آية من كل سورة إلا براءة. لذا راح يفسرها ويؤولها وفق مقصود كل سورة من سور القرآن الكريم، وقد صرح بذلك في معرض تفسيره لبسملة الفاتحة فقال :"وأفسر البسملة بما يناسب ذلك المقصود – مقصود السورة الذي أظهره –، ومن غير خروج عن مدلولات الكلمات من جهة اللغة "[30]. وفي هذا اعتناء بما يسمى بشخصية السورة. من نظر في تفسير كل بسملة في نظم الدرر وفي دلالة البرهان القويم يوجد أن البقاعي قد حقق الربط بين معاني أسماء الله الواردة في البسملة وبين المعنى الذي تميزت به تلك السورة.

مثلا في سورة البقرة والتي جعل مدارها حول البعث قال في تفسير بسملتها في دلالة البرهان :"بسم الله" الذي نصب مع كونه باطنا دلائل الهدى حتى كان ظاهرا، الرحمان الذي أفاض رحمته على سائر خلقه بعد الإيجاد ببيان الطريق موضحا له وشاهرا الرحيم الذي خص أهل وده بالتوفيق لطاعته، ناهيا لهم و آمرا...".[31]

المطلب الثاني: ترجمة اسم السورة بما يوافق مقصودها

لقد كان للبقاعي اعتناءٌ كبير وحرص جليل لما يسمى أسماء السور القرآنية، وقد أسس لقاعدة جليلة في علم المناسبات عن طريق الاستقراء وقد استمدها من قاعدة المشدالي قال البقاعي: "قد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة أي بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب– نظم الدرر– أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه " ثم ذكر دليل القاعدة من القرآن الكريم فقال :" ذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة و السلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام "[32] قال تعالى :{ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (31) **قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** (32)**}[البقرة]**وسر اعتناء البقاعي بالترجمة لاسم السورة لكونه "هادٍ إلى تناسبها".[33]

وعن ذلك قال البقاعي في مقدمة مختصره :"وأضبط فيه كما فعلت في أصله السورة ببيان مقصودها فإنه هاد إلى معرفة تناسبها وأدل عليه بالتطبيق بينه وبين مدلول اسمها سواء كان واحدا أو أكثر وسواء كان اسم معنى أو حرف هجاء لأن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه..."[34].

والملاحظ أن البقاعي لا يكتفي بأسماء السورة التوقيفية بل يتعد الأمر إلى ذكر الأسماء لاجتهادية. مثلا في سورة البقرة بين أنها سميت بالبقرة نسبة إلى قصة البقرة التي أظهرت قضية البعث وسميت بالزهراء: "لإنارتها طريقي الهداية والكفاية في الدنيا والأخرى، ولإيجابها إسفار الوجوه يوم الجزاء لمن آمن بالغيب الذي قامت مبانيها عليه وهدت أقاصيها وأدانيها إليه، هداية المنير لقاصده وأثمرت له إثمار الزهر لواجده..."وسميت بسنام القرآن : "لأنه ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير والتاج الذي هو نهاية كل خير، والعالي على الغير أعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة، ولأن السنام الذي هو سورة لها أعلى ما في المطية..."[35]. فالبقاعي إذن من خلال ما يسمى بترجمة اسم السورة وذكر مناسبته لها، يبرز لنا المعنى الذي قامت عليه تلك السورة.

المطلب الثالث :تحقيق مقصود السورة :

أكد البقاعي على أهمية الكشف عن مقصود السورة، ومدى أهميته كطريق من طرق الكشف عن المناسبات القرآنية، قال عن ذلك في مقدمة كتابه النظم: "تتوقف الإجادة فيه — أي التناسب القرآني – على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة..."[36] ومن خلال هذه المقولة تظهر مكانة الكشف عن مقصود السورة عند البقاعي في إظهار الترابط بين آي السورة الواحدة. قال في دلالة البرهان القويم في سياق تفسير سورة البقرة: "مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل حال، فيكون سالكا الصراط المستقيم، المسؤول هدايته في أم الكتاب، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة الذي هو محط الحكمة، ومداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب فلذلك سميت به السورة".[37]

وقال في مطلع سورة آل عمران :"مقصودها الدلالة على التوحيد". إن البقاعي رحمة الله عليه يحاول في كل مرة عند تفسيره للآيات أن يصطحب معه مقصود السورة فيذكر به ويؤكد بنائها على ذلك المقصود فيقول في مثلا تفسير **أنزل** بأن التعبير بالإنزال كان أولى قال: ولما كانت مادة فرق للفصل وكانت هذه السورة للوحدانية كان التعبير بالإنزال الذي لا يدل على التدرج أولى..." ومن المفردات التي يكررها و"لما كانت هذه سورة، سورة التوحيد" قيل كذا، وبهذا يشير إلى الرابط المعنوي بين أجزاء السورة الذي أظهره أول مرة في مطلع التفسير وهو القصد العام الذي ابتنت عليه.[38]

المطلب الرابع :تحقيق الربط بين آخر السورة ومطلعها:[39]

من تدبر القرآن الكريم، وتتبع آيه وسوره وقف عند بعض العادات القرآنية، كتلك التي أكد عليها البقاعي في تفسيره نظم الدرر ومختصره دلالة البرهان القويم وهي التحام آخر السورة بمطلعها، وتعانق ختامها بمبدئها. قال البقاعي وهو يبين ذلك في إحدى السور: "انعطف مفصلها على موصلها...على أتم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال الخواتم فيه بالبوادي والروائح بالغوادي..."[40] لم يترك البقاعي في مخطوطه دلالة البرهان ولا في أصله بيان هذا النوع من المناسبات ومن خلاله أكد على وحدة السورة القرآنية.

مثلا في آخر المائدة عند تفسير قوله تعالى : **{وهو على كل شيء قدير}** قادر على إسعاد من شاء وإشقاء من أراد وإحلال ما شاء وتحريم ما شاء، والحكم بما يريد، ونفع الصادقين الموفين بالعقود الثابتين على العهود لأن له ملك هذه العوالم وما فيها مما ادعى فيه الإلهية من عيسى وغيره، والكل بالنسبة إلى أنه ليس لهم من ذواتهم إلا العدم أموات بل موات، جديرون أن يعبر عنهم بها لا بمن، فمن يستحق معه شيئا ومن يملك معه ضرا أو نفعا وقد انطبق آخر هذه السورة على أولها كما ترى أي انطباق، واتسقت جميع آياتها آخذا بعضها بحجز بعض. ."[41].

المطلب الخامس : تحقيق الربط بين القصة القرآنية وسورتها

للقصة القرآنية منهج خاص بها لا يشبهه غيره من الأساليب المعهودة عند البشر. ومن أهم هاته الخصائص:

التكرار: فالناظر في القرآن الكريم يجد القصة الواحدة قد تكررت في القرآن عدة مرات كقصة موسى وهارون ونوح وخلق آدم...

الاقتصار: على بعض الحوادث من القصة بحيث تسرد بعض الحلقات دون أخرى. [42]

ومن عادة المفسر أن يقف على أسرار التكرار، والحكمة من سرد بعض جوانب القصة دون بعض، والباحث عن المناسبات له اهتمام بذلك لكون علم المناسبة كثيرا ما يعد مسلكا لتوجيه التكرار في القصص القرآني بصفة عامة. والبقاعي قد بين هذا الأمر في مقدمة في دلالة البرهان القويم وكذالك في أصله فقال عن علم المناسبات: "وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب

تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة...".[42]

كلام البقاعي هذا ينبأ عن طريق من طرق الكشف عن مناسبات القصص القرآني للسياق اللفظي، لأن العلم بمقصود السورة هو الطريق لبيان سر أو حكمة ورودها في السورة دون غيرها، وبألفاظ بعينها دون أخرى، فـ" الله – سبحانه وتعالى . يعبر لنا في كل سورة تذكر القصة فيها بما يناسب المقام من ألفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام. .."[43]. ومن هنا يمكن القول بأن اعتناء البقاعي بتوجيه القصص القرآني كان على أساس إيمانه بوحدة السورة القرآنية وتميزها.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث نصل إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

– لمخطوط دلالة البرهان القويم أهمية كبيرة في علوم القرآن عامة وفي علم المناسبة خاصة لذا وجب الإعتناء به تحقيقا ودراسة. من بينها مصادر التفسير عند البقاعي من خلال مخطوطه، المناسبة وأنواعها عند البقاعي من خلال مخطوطه، وحدة القرآن عند البقاعي من خلال مخطوطه.

– للعلماء مناهج خاصة قي التهذيب تحتاج للإعتناء ومن بينها منهج البقاعي.

– نظرية وحدة السورة ووحدة القرآن في تراث البقاعي تحتاج لدراسة معمقة تظهر مكانة هذا العالم وتساهم في تطوير التفسير الموضوعي.

الهوامش:

1. البقاعي، إظهار العصر 2/137.

2. المسمى إبراهيم بن عمر أما أمه فهي فاطمة بنت علي بن محمد السُّلَيمي قال عنها البقاعي بأنها كانت امرأة صالحة، ينظر البقاعي 2/88.

3. البقاعي، إظهار العصر، 2/88.

4. البقاعي، المصدر السابق، 1/.268

5. علم المناسبة هو علم يدرك به الترابط بين أجزاء القرآن الكريم، حروفه، ألفاظه، جمله، آياته، وسوره وكذا معانيه، ويبين علل الترتيب، و قواعد الكشف عنها، لتحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه المقام.ينظر مقدمة نظم الدرر ومقدمة المخطوط.

6. البقاعي، المصدر نفسه، 2/204-203،الشوكاني، البدر الطالع، 40، ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، 7/340.

7. ينظر مقدمة تحقيق محمد أيوب في تحقيقه فرست مصنفات البقاعي فقد درس حياة البقاعي بكثير من التفصيل فلم يترك كتابا أو مخطوطا للبقاعي، أو دراسة حول البقاعي إلا وقد وذكرها. للتوسعة في ترجمة البقاعي يرجع إلى دراسة محمد أيوب وإلى ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق 7/340، عمر كحالة، معجم المؤلفين، 1/50-49، معجم المطبوعات الجامعية العربية، 2/574-573،مقدمة تحقيق، الإعلام بسن الهجر إلى بلاد الشام، كشف الظنون، حاجي خليفة، 5/21 الزركلي،الإعلام،، 56 /1.

8. ابن حجر، إنباء الغمر، 8/338-336.

9. السيوطي، نظم العقيان، مخطوط، نسخة الأزهر.

10. ابن عماد الحنبلي،مصدر سابق، 7/3340-339،الشوكاني، مصدر سابق 41-42-43.

11. تحتوي على 12 لوحة.

12. مخطوط دلالة البرهان القويم اللوحة 2.

13. المخطوط اللوحة :4-5.

14. المخطوط اللوحة :5.

15. المخطوط اللوحة :7-8.

16. المصدر السابق : اللوحة 7.

17. المصدر السابق : اللوحة7-8

18. مصاعد النظر مؤلف خاص يذكر فيه البقاعي مقاصد السور وذلك من خلال ترجمة اسم السورة القرآنية وقد اعتنى فيه بذكر فضائل السور، وكذا المكي والمدني وعدد الآيات لذلك ترك ذكرها في مخطوط دلالة البرهان القويم. المخطوط اللوحة :2.

19. نظم الدرر 6/343 نقل من الإنجيل ما يقارب عشر صفحات.

20. نظم الدرر، مصدر سابق 6/262، 6/263

21. قسم البقاعي كتابه إلى مقدمة وثمانية فصول حاول من خلالها ذكرحكم النقل عن أهل الكتاب لتأييد ملة الإسلام وبيان أدلة ذلك كما أنه ساق أقوال العلماء المؤيدة " ينظر رسالة الماجستير تحقيق الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة للباحث سامي العمري، جامعة أم القرى، إشراف أحمد السايح.

22. نظم الدرر، 22/44.

23. نظم الدرر، البقاعي، 6/148.

24. نظم الدرر، 1/272وما بعدها.

25. المخطوط اللوحة:2

26. البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ت :عبد السميع حسنين، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر كلية أصول الدين

27. محاظرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله عباس، دار الفكر، ط:1،2007، ص:35

28. البسملة اسم لكلمة باسم الله، صيغ هذا الاسم على مادة مؤلفة من حروف الكلمتين باسم والله على طريقة تسمى النحت، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 1/38.م

29. إتفق الفقهاء على قرآنية البسملة فهي جزء من آية قال تعالى **:{ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل30]** ولكنهم اختلفوا هل هي جزء من كل سورة ماعدا براءة، أم لا. ذهب مالك والأوزاعي وفقهاء المدينة والشام والبصرة إلى عدم إعتبارها آية من الفاتحة وأوائل سور القرآن، وذهب الشافعي إلى إعتبارها آية من الفاتحة وفي قول آخر وهو الأصح بأنها آية من كل سورة. لقد استدل الفريقان بالذوق العربي -إلى جانب أدلة أخرى - في اعتبار البسملة وهو، أن في ذكرها في الفاتحة أو غيرها يفيد تكرار المعاني ومن أعظم المهمات التأكيد على أن الله رحمان رحيم، فأجيب عن ذلك أن تكرارها مخالف للذوق العربي الذي جعل التأنق في فواتح السور، وفي اعتبار البسملة آية من كل سور ة مفوت لذلك. يجاب عن ذلك أن التأنق في الفواتح موجود يلمسه من سمع البسملة ومن لم يسمعها، 1/137.

30. مقدمة مخطوط دلالة البرهان القويم، ونفس المنهج ذكره في نظم الدرر، 1/19.

31. مخطوط، دلالة البرهان القويم، اللوحة :36.

32. البقاعي، نظم الدرر، 1/19.

33. المصدر نفسه، 1/19.

34. البقاعي، المصدر نفسه، 01/5

35. المخطوط، اللوحة :2.

36. المصدر نفسه، اللوحة :36.

37. البقاعي، نظم الدرر، 01/5.

38. المخطوط، مصدر سابق، اللوحة 36 وما بعدها.

39. المصدر نفسه، اللوحة :325 وما بعدها.

40. ألف السيوطي في هذا النوع رسالةً لطيفةً أسماها مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع.

41. البقاعي، نظم الدرر، 17/379.

42. المصدر السابق : آخر سورة المائدة.

43. البوطي، من روائع القرآن، 195-196.

44. مقدمة المخطوط، وينظر نظم الدرر،1/14.

45. البقاعي، نظم الدرر،1/224.